جامعة ابن طفيل
كليــة العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الجغرافيا
الفصل: الثاني

وحدة جغرافية الأرياف

الأستاذة: لمياء البزاري

السنة الجامعية

2025-2024

المحور الثالث: قراءة وتشخيص وتحليل بعض المشاهد الريفية والمشاهد الزراعية

2. المشهد الزراعي: عناصره وأنواعه

يعرف **Fenelone** المشهد الزراعي بقوله هو مجموع المساحات المهيئة قصد الإنتاج الفلاحي إذ أنه يشمل المشارات المعدة لحمل مختلف المنتوجات كما يشمل كذلك الطرق والمساكن.

أما **P . George** فيقول بأن المشهد الزراعي هو كل ما يلاحظ مباشرة في الميدان أو من خلال الصور الجوية أو الوثائق التاريخية. وأن فهمه يتطلب معرفة دقيقة بالجغرافية والتاريخ والأركيولوجية. فالمشهد الزراعي بذلك عبارة عن مجال طبيعي خضع لتحويل من خلال تدخل الإنسان الذي قام بتنظيمه وهيكلته.

نستخلص أن المشهد الزراعي لا تحدده الخصائص الطبيعية وإنما تحدده الظروف البشرية الاقتصادية والسياسية. فهو مسرح لصراعات اجتماعية تدور حول وسائل الإنتاج ويرتبط بجملة عوامل تؤثر على وظائفه وعناصره كالتقدم التقني، تأثير سوق الاستهلاك، الأزمات الاقتصادية والضغط الديمغرافي.

تتجلى أهمية دراسة المشهد الزراعي هو محاولة تحليل هذا المشهد الذي يتوفر على عناصر موروثة وأخرى حديثة متداخلة فيما بينها، فمهمة الجغرافي هنا تكمن في البحث عن العلاقات التي تجمع بين هذه العناصر ومحاولة فهم الآليات المتحكمة فيها.

2-1 عناصر المشهد الزراعي

المشهد الزراعي هو حصيلة تنظيم الإنسان للمجال الفلاحي وتجهيزه وإعداده للأرض قصد الاستغلال، فهو بعبارة أخرى انعكاس للنشاط الفلاحي على وجه الأرض مهما كانت درجة التقنيات المستعملة حتى ولو كان هذا النشاط يقتصر فقط على حرق الغطاء النباتي. فالمشهد الزراعي ادن لا يعني الإطار الطبيعي الذي يتم فيه الاستغلال.

1-1-2 المحاط Finage

يعتبر المحاط وحدة جغرافية ذات أبعاد مجالية واجتماعية، فهو إسقاط مجالي لبنية اجتماعية متجانسة نسبيا، يستغل من طرف جماعة بشرية (فخذة أو سكان دواوير متعددة) يربط أفرادها روابط القرابة أو الاستغلال المشترك لتراب معين تمارس به الحقوق الزراعية.

وهو بذلك إطار طبيعي وقانوني تمتلكه مجموعة بشرية سواء كان ملكا قانونيا (توفر مالك الأرض على رسوم عقارية أو شهادات عدلية) أو عرفيا (كما هو الحال بالنسبة للأراضي الجماعية). يتكون من الأراضي المزروعة والمغروسة والمراعي والأحراش والغابات. ويشكل كذلك إطارا تتوزع فيه المساكن الريفية وفقا لأنماط معينة.

ويتكون المحاط من الحريث والشيم، وهما معا يكونان الوحدات الكبرى للمحاط:

الحريث Ager : مصطلح مشتق من فعل حرث، يعني الأراضي المستغلة فعلا عن طريق الزراعة. من هذا المنطلق فالحريث يقصد به كل أجزاء المحاط التي تستغل في المجال الزراعي. فهو يتألف من حقول تباشر فيها زراعات موسمية كالحبوب والقطاني أو زراعات دائمة أو مغروسات شجرية.

الحريث

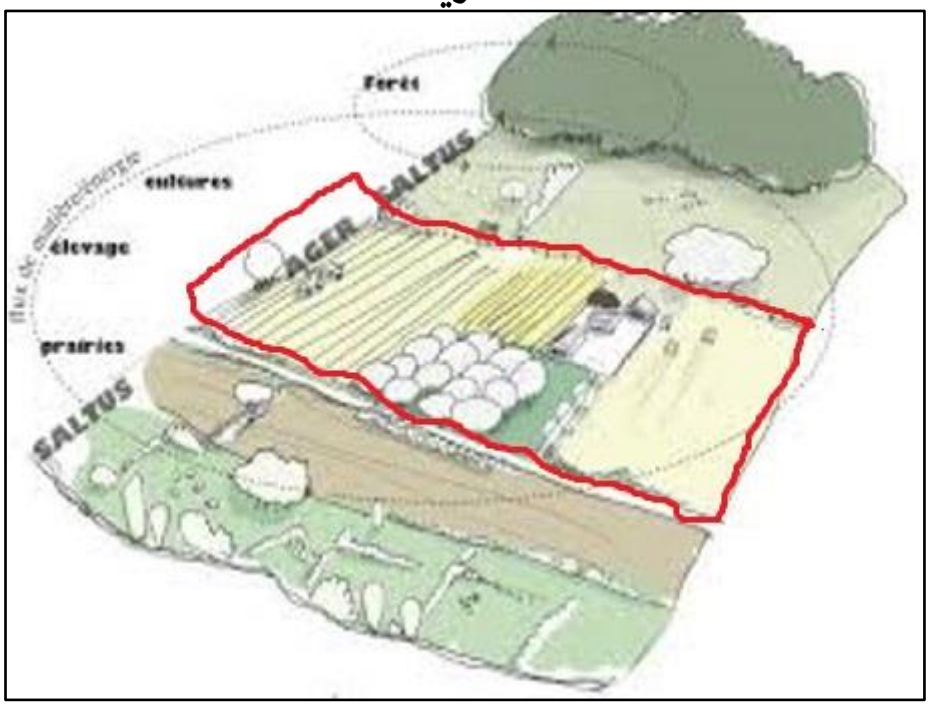

بمعنى أخر الحريث هو كل الأراضي المستغلة من طرف مجموعة قروية في الإنتاج الزراعي، سواء همت المجالات البورية أو المسقية. تختلف أهمية الحريث من مجال جغرافي لأخر حسب ملائمة الظروف الطبيعية وإن غابت هذه الأخيرة فإنه يتحول إلى شيم.

الشيم Saltus: هو مجموعة الأراضي غير مستغلة سنويا أو بصفة دائمة في المجال الزراعي (سفوح الجبال الوعرة، الأراضي المنحدرة ...) التي تشكل مجالا للرعي.

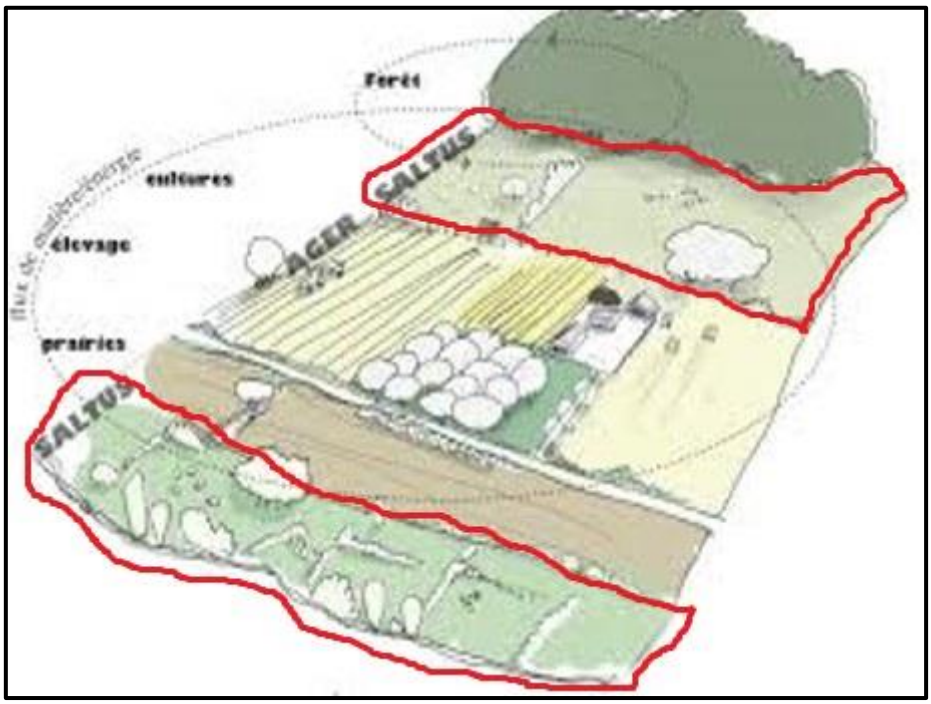

نتعرف عليه من خلال المشهد إما بلون أتربته أو كسائه بالغطاءات النباتية العشبية العفوية. في بعض الأحيان يقدم الفلاح على ترك جزء من الأرض إما لتوفير المراعي أو لاستراحة الأرض أو هما معا خاصة في المجالات التي تعرف ندرة في الموارد المائية.

وعموما يتكون المحاط في الغالب من عدة رساتيق Terroirs.

2.1.2 الرستاق Terroir :

عرف محمد بلفقيه الرستاق على أنه: "المجال الذي له خصائص طبيعية، طبوغرافية، مناخية... تكسبه مؤهلات زراعية أو رعوية معينة. هذه الخاصيات الطبيعية هي نتيجة لتفاعل عدة عوامل طبيعية كالسطح، المناخ المحلي، المياه والتربة والغطاء النباتي". لذا تسعى الجماعات البشرية خاصة منها التي لا زالت تزاول زراعة معاشية الحصول على

محاط يتوفر على أكبر عدد ممكن من الرساتيق حتى يتنوع الإنتاج ويحصل التكامل. وعليه قلما يحدث تطابق تام بين رستاق ومحاط. بمعنى أن المحاط يضم عادة عددا من الرساتيق.

وتتنوع الرساتيق باختلاف المناطق (حقول مفتوحة، وأخرى مسيجة...)، وكيفما كانت الرساتيق، فهي تعبير عن مجتمعات زراعية لأنها مشاهد " مبنية " وكأي بناء، فهي تحتفظ في طياتها بآثار الماضي وتتطور مع الزمن... وعليه، يمكن تعريف الرستاق بكونه الحيز الذي تمتلكه وتعده وتستعمله المجموعة - البشرية- التي تقطنه وتستخرج منه حاجياتها المعيشية...

إن استغلال المجال الفلاحي وكيفية تهيئته من طرف المجموعة البشرية (على مستوى دوار مثلا) كثيرا ما يراعي اختلاف المؤهلات الطبيعية المتوفرة. كتنوع الطبوغرافية والمناخ المحلي والتربة وموارده المائية ... وهكذا نشهد تنظيما خاصا للاستغلال يتبلور في شكل رساتيق مختلفة. وكثيرا ما تساعدنا على معرفة هذه الرساتيق إما أنواع الاستعمال التي تخضع لها التربة أو التسميات المحلية وتكمن أهمية هذا الصنف من الاستثمار في تنويع الإنتاج وضمان نوع من التكامل بين الرساتيق داخل المحاط. وعلى هذا الأساس تقسم أنواع الرساتيق إلى مجموعة ...:

*<u>حسب وظيفة الإنتاج:</u> غالبا ما يكون عبارة عن رستاق بوري أو شبه بوري، حيث نجد رساتيق خاصة إما بإنتاج المزروعات الحولية (حبوب وقطاني مثلا) أو الأشجار المثمرة أو البقول أو خاصة بالرعي في الجهات التي تتوفر فيها الغابات والأحراش والكلاء.

وتختلف كما تختلف أسماء الرستاق حسب وظيفة إنتاجه:

- الأشجار المثمرة: تقابلها أسماء مثل "العرصة" (ج. عراصي) "الجنان" (ج. جنانات) "السانية" (ج. سواني نسبة للسانية التي هي وسيلة من وسائل الري)، "أكدال" ....
- رستاق البقول: نجد مصطلحات كـ "البحيرة" "الولجة"

• وفيما يتعلق بالمجال المزروع فيعبر عنها بـ "الفدان"

•أما الرعوية تقابلها أحيانا تسميات مختلفة " كبلاد الغابة" (تاكانت) "أكدال" "المروج" "بلاد الجماعة" ...

*حسب وسائل الري المستعملة: يسود هذا النوع من الرساتيق على مستوى جنابات الأودية وفي المناطق التي تصلها مختلف قنوات السقي التقليدية والعصرية، وبأقدام السفوح في المناطق الجبلية.

حيث يتدخل الري في تحديد رساتيق زراعية معينة كظهور حيازات بها فلاحات معينة ("بلاد اسقا") كالزراعات العلفية والخضروات والفواكه.

شكل هذا النوع من الرساتيق مجالا لإبداع الساكنة لمجموعة من الأعراف والتنظيمات الاجتماعية المشرفة على الري (جمعية، تعاونية، الدولة، ...) التي هدفت إلى تنظيم وتوزيع واستغلال الموارد المائية.

* حسب العوامل الطبيعية: تؤثر العوامل الطبيعية في انتظام الرساتيق، من أهمها الطبوغرافية والمناخ المحلي وأنواع الأتربة والموارد المائية.

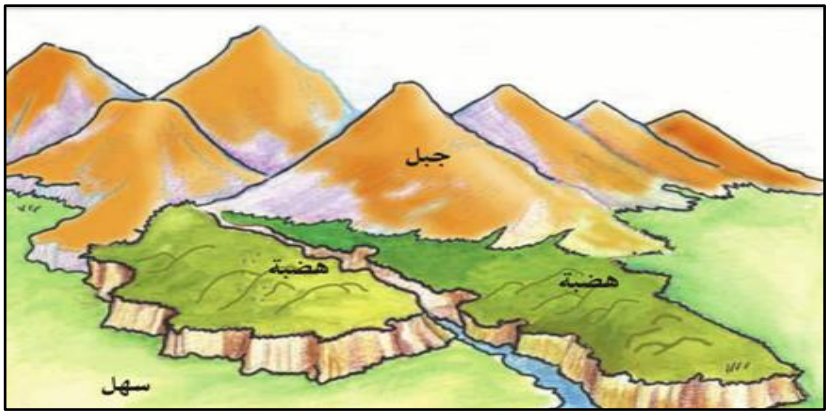

في المناطق المنبسطة (بلاد لوطا): يستغل اختلاف التربة وتوفر مياه الري فنحصل على رساتيق مختلفة من حيث الوظيفة ومتفاوتة من حيث المردودية، ففي هذه الحالة قد تكون الرساتيق المسقية ذات فلاحة مغلالة (فلاحة كثيفة تكون المردودية في الهكتار مرتفعة) والفلاحة البورية ذات فلاحة مقلالة (فلاحة تمتاز بقلة المردودية).

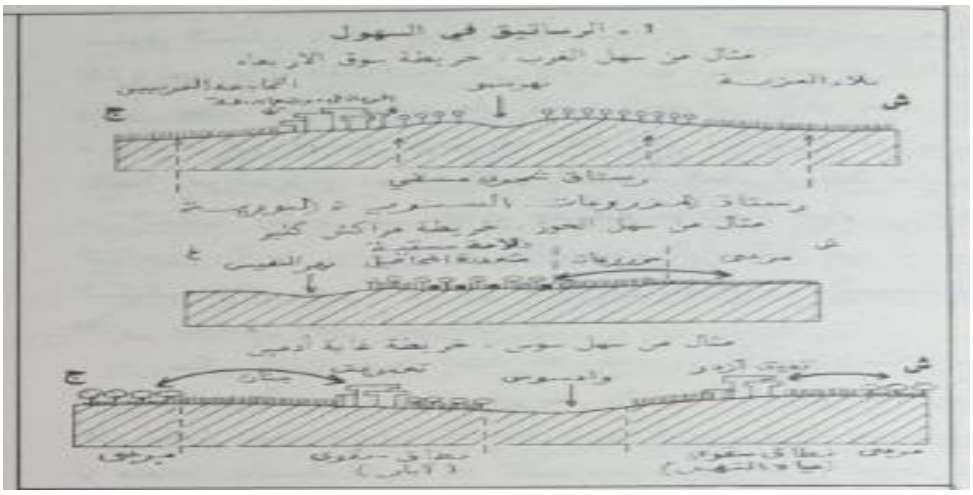

•في المناطق الهضبية: قد يكون استغلال السطوح مخالفا لاستغلال الأودية وسفوحها حيث تتوفر مياه الأنهار والعيون. وهكذا قد نجد فلاحات موسمية وبورية فوق الهضبة (ليست قاعدة عامة) وفلاحات شجرية أو خضرية مسقية على طول الأودية.

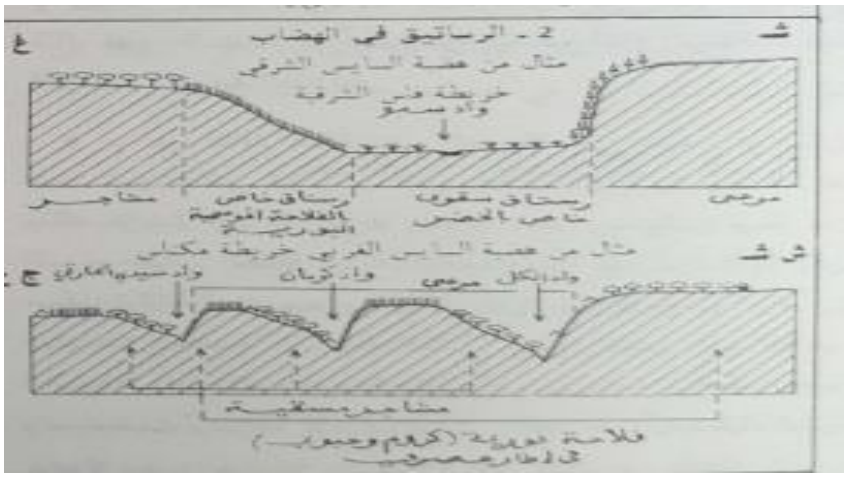

•في المناطق المتضرسة (جبال وتلال): كثيرا ما يستغل التدرج الطبوغرافي والترابي والمناخي لإقامة أنواع مختلفة من الاستغلال الفلاحي. بالتالي تشكل رساتيق كثيرة تعتبر الميزة الخاصة لتضاريس الجبل، كما يعتبر تغير السفوح (سفوح شميسة وسفوح ضليلة) مظهر من مظاهر تنوع الرساتيق بالمرتفعات.

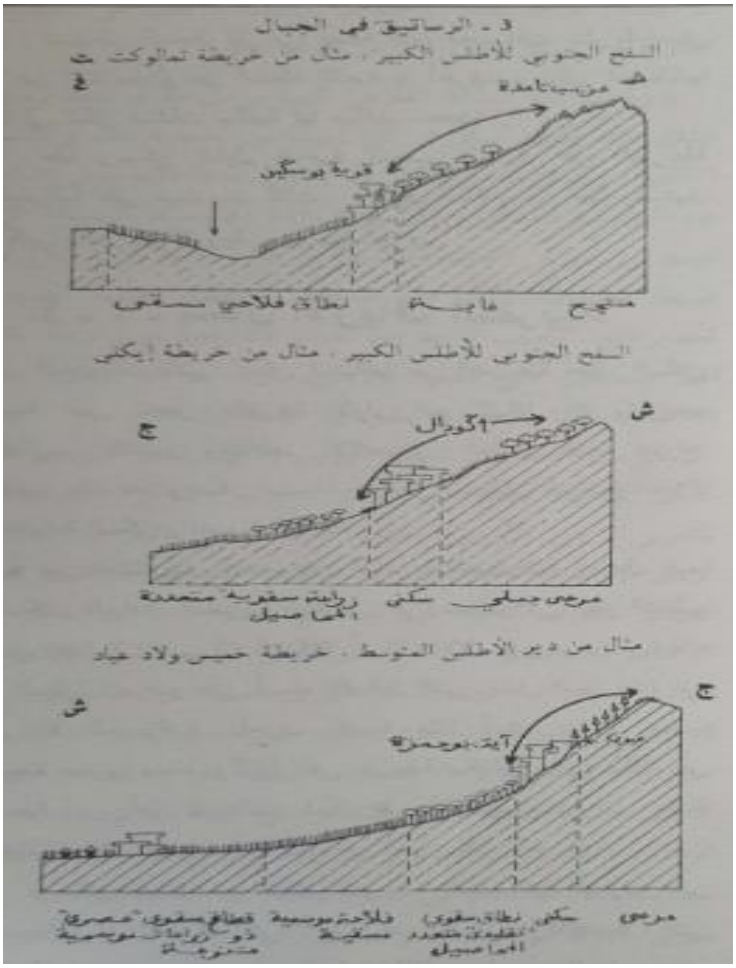

•في المناطق المتموجة غالبا ما يتم استغلال المنخفضات بتقنية المدرجات للإنتاج الزراعي، بينما تخصص النطاقات المتحجرة للسكن والرعي.

1-1-3 المشارة Parcelle

هي الخلية الأصغر، أو الرقعة الفلاحية التي تحمل في بعض الحالات اسم الحقل، وهي أصغر جزء فلاحي يمكن أن يحرث أو يغرس، نمثلها على الخريطة الطبوغرافية، وتظهر على مستوى الصور الجوية. وتتخذ المشارة إحدى الحالتين:

•مشارة الملك parcelle foncière : تسمى كذلك المشارة العقارية وهي قطعة أرضية يملكها شخص أو عدة أشخاص وتتميز برسم عقاري واحد يثبت ملكية صاحبها.

•مشارة الإستغلال: أو المشارة الزراعية، هي قطعة من الأرض تخصص لمنتوج معين وهي التي تظهرها الصور الجوية والخرائط الطبوغرافية وتتميز بتنوع شكلها وحجمها ومساحتها ويمكن أن تضم مشارة الملك عدة مشارات للاستغلال.

تختلف مساحة المشارة من مجال جغرافي لأخر، إذ يمكن أن تكون صغيرة أو كبيرة. تكون المشارات صغيرة في المناطق التي لا تتوفر فيها الظروف الطبيعية كقلة الموارد المائية و الأتربة الخصبة وحيث النشاط الفلاحي عن بستنه jardinage كما هو منتشر في المجالات الواحية ومناطق زراعة الأرز بآسيا. وكذلك في بعض المناطق الجبلية حيث

المشارات الفلاحية محصورة على جوانب الأودية الضيقة فتصبح آنذاك المشارات قزمية و مجهرية. أما في المناطق التي تتوفر على مساحات فلاحيه شاسعة نتيجة انبساط المجال وغياب التضرس فتسود المشارات الكبرى التي تتخذ أبعادا مساحية مختلفة، كما لها أبعاد متباينة من حيث الشكل.

- **أشكال المشارات**

vمشارات غير هندسية الشكل: غالبا ما تنتشر في المناطق الشديدة التضرس للتكيف مع الشكل الطبوغرافي غير المستوي: أودية، انحدارات، مرتفعات.... فادا كان السطح تخترقه أودية وتتخلله مرتفعات وانحدارات فان المشارات تسعى للتكيف مع السطح فتتخذ أشكالا متنوعة لا هندسة لها.

مشارات غير هندسية الشكل

vمشارات هندسية الشكل: تأخذ أشكال هندسية محددة فقد تكون مربعات، مستطيلات أو دوائر، وتوجد غالبا في المناطق التي خضعت أراضيها لعملية الضم في إطار سياسة الإصلاح الزراعي والإعداد الهيدروفلاحي (الغرب، دكالة، اللكوس).

vمشارات مثلثة: غالبا ما توجد في المناطق الجبلية والتلية حيث تمتد على السفوح، قاعدتها عريضة في أسفل السفح وضيقة في اتجاه الأعلى.

مشارات مثلثة

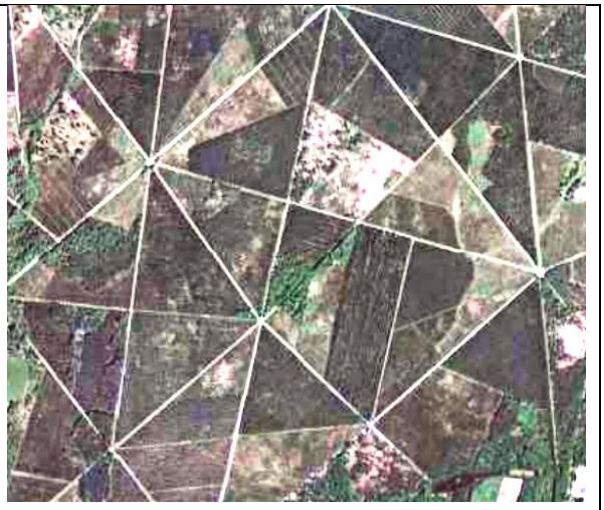

٧مشارات مستديرة: تنتشر بالأساس في المناطق التي تعتمد على زراعة عصرية ينتشر فيها السقي بواسطة الأدرع المحورية كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تعطي للمشارة الشكل الذي تأخذه أثناء دورانها.

مشارات مستديرة

٧ مشارات طولية: وهي حقول تمتد على شكل طولي في حين عرضها لا يتعدى بضعة أمتار، توجد في المناطق المنبسطة، تنتشر في هولندا وألمانيا، وتخصص في الغالب لزراعة الورود والزهور والأعشاب الطبية. كما تنتشر كذلك ببعض السفوح التي يراعى فيها وقاية التربة وحمايتها من التعرية، ويتم إعداد الحقول بشكل متعامد مع انحدار السفوح والأمثلة كثيرة في ذلك وخصوصا في جبال الريف.

مشارات طويلة

تكون المشارة واضحة وبارزة مجاليا بواسطة الحدود التي تميزها عن غيرها داخل الحيازة. هذه الحدود يمكن أن تكون عبارة عن ساقية أو عبارة عن حيز مرتفع مقارنة بمستوى المشارة، أو جزء لا يحرث في غالب الأحيان فيبدو واضحا في المشهد الزراعي. كما يمكن لهذه الحدود أن تتخذ أشكالا أخرى متعددة كالمغروسات الشجرية كالزيتون مثلا، أو مزروعات مؤقتة كالذرة. وعلى السفوح تظهر الحدود بواسطة المدرجات التي تنشأ لمقاومة الانجراف، أو فقط بواسطة الأحجار.

1-1-4 الدبر: Parcellaire

الدَّبر هو مجموع مشارات الاستغلال، لرستاق أو محاط ما (شكل الحقول)، أي هندسة وتوزيع المشارات.

تختلف هيئة الدَّبر باختلاف المشارات: يتميز الدبر في بعض الأحيان بعدم انتظام مشاراته بينما في حالات أخرى تظهر هذه المشارات منتظمة موازية إما لارتباطها بقنوات الري أو قنوات التجفيف أو بعملية الاجتثاث الذي تم بطريقة متعامدة مع طريق رئيسية مثلا.

الدبر

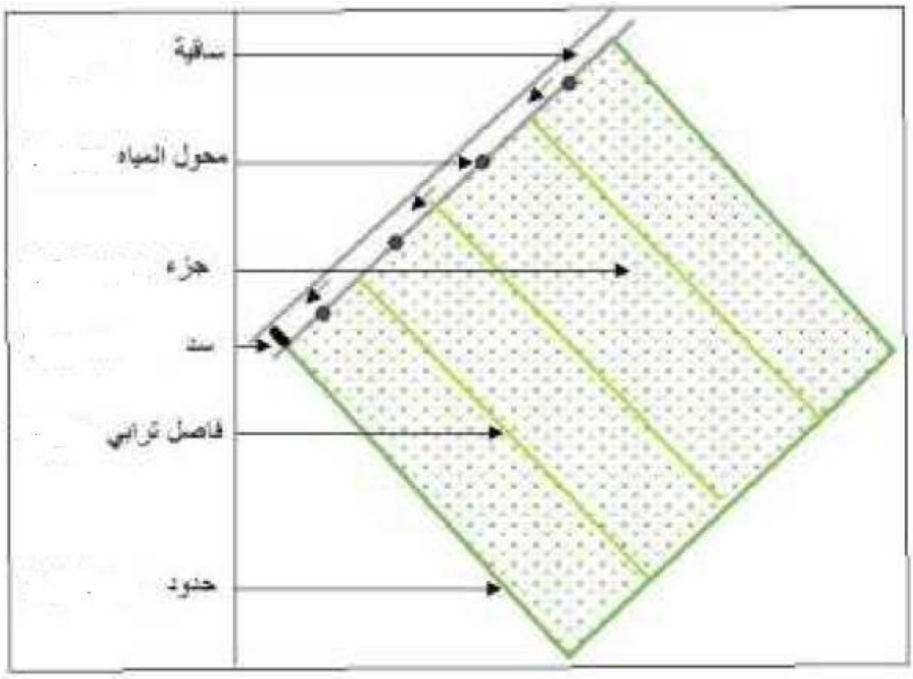

ويمكن للدبر أن يحتوي على مجموعة من المشارات المتشابهة والمتجانسة إذا كانت تتوفر على نوع من النظام في استقلالها ومساحتها وأشكالها، كما هو الحال بالنسبة للمساحات المسقية. ويمكن للدبر أن يحتوي على مشارات متنوعة وغير متجانسة، أي مختلفة الأشكال والأحجام، بعضها يكون مستغل والبعض الآخر في حالة استراحة أو غير مستغل بالمرة. في مجالات الفلاحة التقليدية، نلاحظ تداخل بين مكونات الدبر حيث تتجاور فيه المشارات المغروسة وغير المغروسة والمتروكة للرعي.

2-2 أنواع المشهد الزراعي

2-2-1 المشهد الزراعي المغلق

يعتبر السياج الخاصية الأساسية في هذا الصنف من المشهد الزراعي. ويتخذ السياج أشكالا متعددة يقيمها المزارع لأغراض معينة، منها ما هو نباتي على شكل أشجار أو شجيرات شوكية، ومنها ما هو اصطناعي كالحجارة المصففة أو الأسلاك الشائكة أو مركبا من هذا وذاك، وذلك حسب المواد المتوفرة مجاليا تنصب على شكل جدران تحيط

بالحقول. تقام هذه السياجات لتحديد الملكية وإثباتها أمام الجميع، وحماية المحاصيل الزراعية من الأضرار الطبيعية (درء خطر الرياح) والبشرية والحيوانية، إضافة إلى ضبط الماشية ومنعها من التسلل خارج المراعي. وفي المناطق الواحية والجبلية فإن السياجات لها دور وقائي للتربة كالحد من نشاط التعرية الريحية وزحف الرمال أو لتثبيت التربة من الانجراف في السفوح.

السياج النباتي

سياج من الحجارة

سياج من أسلاك شوكية	سياج من الخشب

ومن أهم خصائص المشهد المغلق:

- توفر جميع المشارات المغلقة على طريق موصلة، وغالبا ما تتخذ المسالك والممرات بين السياجات أشكالا تتماشى وشكل السياج.
- تنوع وتعدد أشكال ومساحات الحقول.

لكن المشهد الزراعي المسيج لا يخلو من عيوب يمكن رصدها على المستويات التالية:

-يشكل عرقلة في وجه تكثيف الإنتاج وتوسيع المجال الفلاحي.

- السياج يقتطع جزءا مهما من الأراضي المزروعة.

- يعيق استعمال الآلات العصرية كالجرار مثلا الذي يستطيع الدوران عند الحرث داخل الحقل المسيج إلا إذا تركت هوامشه بدون حرث.

- يظلل السياج جانبا من الحقول فيعطل ويعرقل نضج المزروعات.

- علاوة على هذا كله يجمع السياج الأعشاب الطفيلية والحيوانات الضارة كالقوارض التي تجتاح الحقول على الرغم من مقاومة الفلاح لها.

2-2-2 المشهد الزراعي المفتوح

هو مشهد زراعي مخالف تماما لسابقه، يتميز بعدم وجود السياج أو كل حاجز أمام النظر. يبدو واسع الأفق ورتيبا، ويصعب التعرف فيه على حدود الاستغلاليات.

مشهد زراعي مفتوح

تختلف خصائص المشهد المفتوح عن خصائص المشهد المغلق من حيث الأنشطة الزراعية ونظام توزيع السكن والنظام الزراعي. فمن حيث النشاط الفلاحي غالبا ما يتميز المشهد المفتوح بقلة المغروسات، وتحتل زراعة الحبوب مساحات كبيرة، غير أن مثل هذه الأراضي غالبا ما تتعرض للتجزئة بفعل الضغط الديمغرافي وعملية الإرث. أما ما يهم النظام الزراعي، ففي المشاهد المفتوحة يكون في كثير من الحالات النظام الزراعي جماعي، وبالتالي يتحتم على الجماعات البشرية القيام بدورات زراعية إجبارية، وتستخدم الأجزاء غير المزروعة كمسارح من طرف التجمعات السكانية. فيما يخص السكن فالمشهد الزراعي المفتوح يتسم بهيمنة السكن المتجمع في أشكاله المختلفة، ودلك لكون الهدف الأساسي هو الاستغلال الزراعي للأرض. لكن في حالات أخرى يمكن أن يصاحب المشهد المفتوح

سكن متفرق كما هو الشأن في بعض السهول الأطلنتية المغربية، بسبب حداثة الاستقرار، وكسر المستعمر للتقليد الجماعي في الاستغلال الزراعي.

2-2-3- المشهد الزراعي المتدرج

يسود المشهد الزراعي المتدرج بالمجالات الجبلية الوعرة، حيث يقل طابع الانبساط المنحصر في أعماق الأودية أو ببعض المنخفضات البيجبلية، فنجد هذا المشهد يتميز برساتيق متدرجة حسب الارتفاع. تكون في الأودية عبارة عن رساتيق مسقية الاستغلال (مغروسات شجرية متنوعة، خضروات وزراعات علفية...)، يليها بروزات صخرية مستغلة لتجمع السكن وهي مناطق غير نافعة فلاحيا. وبمستوى أعلى نجد رستاق بوري مخصص للزراعات البورية أو للرعي، وفي العالية يتواجد المجال الغابوي إضافة إلى المراعي الجماعية التي تكون إما في ملكية القبيلة أو في ملكية مجموعة بشرية معينة.

مشهد زراعي متدرج

محاط متدرج حسب الارتفاع

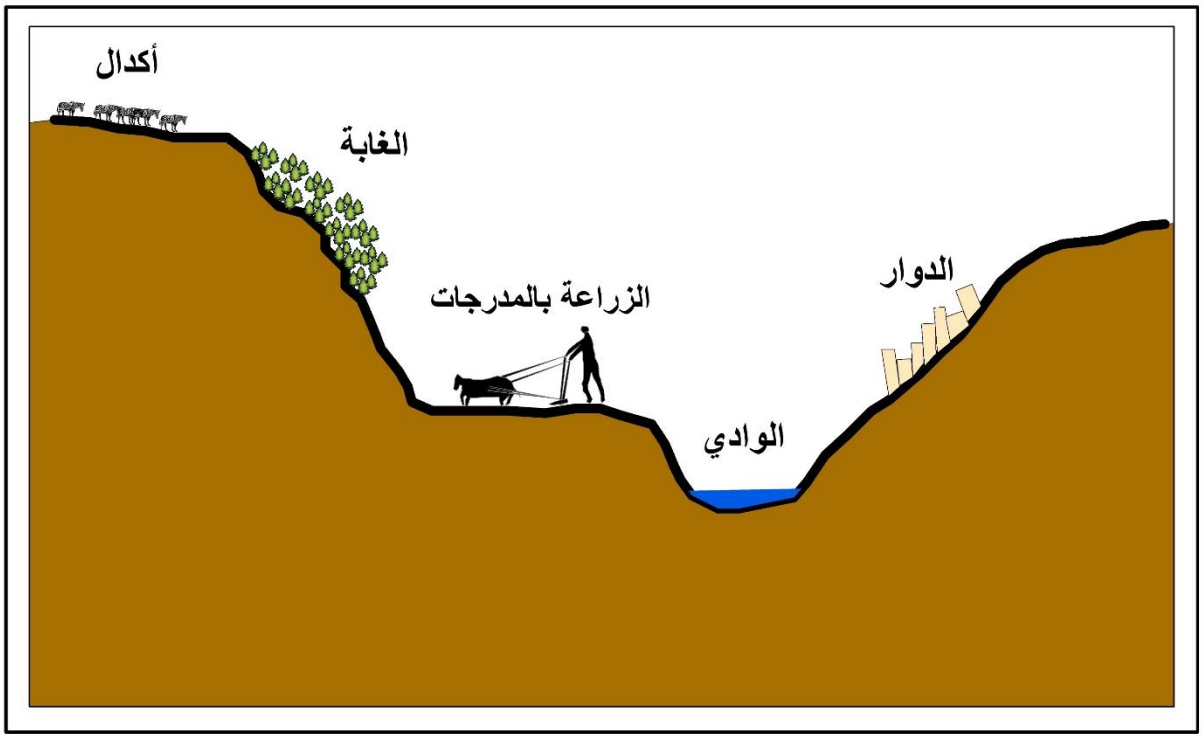

من خلال ما سبق تحليله في هذا المحور يتضح أن المشهد الزراعي هو مشهد محدد بالعناصر المتضمنة والمشاهدة داخل المحاط ويضم المكونين الزراعي والرعوي. أما المشهد فهو التعبير الأكثر شمولية يضم كل ما تتضمنه الأرياف من مجالات فلاحية وغير فلاحية إضافة إلى حمولاتها المادية المشاهدة والرمزية غير المرئية.